جامعة حمّة لخضر الوادي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
شعبة التاريخ
السنة الثالثة تاريخ عام
مقياس تاريخ الحركة الوطنية 1919-1954
الدكتور: عثمان زقب

الدرس الأول: انبعاث العمل السياسي في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى (حركة الأمير خالد).
تمهيد
1-التعريف بشخصية الأمير خالد والعوامل المساهمة في تكوينها:
2-دور الأمير خالد في بعث العملية السياسية في الجزائر.
3-انتخابات 1919 وانقسام جماعة النخبة.
4-برنامج الأمير خالد ونضاله في الجزائر.
5-نضال الأمير خالد في فرنسا.
استنتاج.

تمهيد:
يعتبر الأمير خالد من أوائل الزعماء السياسيين الجزائريين الذين برزوا بعد الحرب العالمية الأولى حيث سيكون لحركته السياسية المعادية للاستعمار ضمن ما تفرضه الديمقراطية والقوانين الفرنسية مع الحفاظ على الأحوال الشخصية الإسلامية دورا بارزا في رسم معالم الحركة الوطنية الناشئة.
ضمن هذا الإطار يرى اسنار الدبير (Isnard Hildebert) بأنه "منذ خمسة عشرة سنة، تشكل "الأمة الجزائرية"، "الوطن الجزائري"، الموضوعات المفضلة للخطابات الانتخابية ومقالات الصحف المحلية اليوم. وبدون النظر فيما إذا كانت تعبر عن واقع عميق الإحساس أم لا، نود في الوقت الحالي تحليل الظروف التي يمكنهم الظهور وتأكيد أنفسهم. وهكذا سنكون مخلصين لأساليب الحوليات: لا يمكن الحكم على الحاضر أو فهمه بشكل أفضل من تلقاء نفسه. يجب أن نضع في أصل "القومية" الجزائرية النقص سياستنا الأهلية"[1]. في الواقع يعتبر سرد المسيرة المذهلة للأمير خالد مقدمة ممتازة لدراسة أصول القومية الجزائرية[2].
في دراسة عن كثب وتغذت بوثائق غير منشورة في كثير من الأحيان (مراسلات ليوتي، أرشيفات الشرطة، تقارير الحكام العامون، نشرات خدمة شؤون السكان الأصليين، مقابلات) يواصل آجيرون تحقيقه في القومية الجزائرية ويحاول تقييم أحد الشخصيات الأقل شهرة في المغرب العربي المعاصر، الأمير خالد، حفيد عبد القادر[3].

1-التعريف بشخصية الأمير خالد والعوامل المساهمة في تكوينها:
يرى علي مرّاد بأنّه "واحدة من أبرز الشخصيات الجزائرية في النصف الأول من القرن العشرين القرن الأمير خالد بن الأمير الهاشمي بن الأمير عبد القادر. شخصية الأمير خالد كانت متنازع عليها بشدة في نفس الوقت في الدوائر الفرنسية في المستعمرة وحتى من قبل الجزائريين"[4]. وبغض النظر عن "الهالة العاطفية التي

[1] Isnard Hildebert. Aux origines du nationalisme algérien. In: **Annales. Économies, Sociétés, Civilisations.** 4e année, N. 4, 1949. pp. 463-474. doi : 10.3406/ahess.1949.1770, p463.
[2] Bouche Denise. Koulakssis (Ahmed) et Meynier (Gilbert) : L'émir Khaled, Premier za'îm ? Identité algérienne et colonialisme français. In: **Revue française d'histoire d'outre-mer**, tome 75, n°281, 4e trimestre 1988. pp. 476-477, p476.
[3] Nouschi André. C.-R. Ageron, « L'émir Khaled, petit-fils d'Abd el Kader fut-il le premier nationaliste algérien ? ». In**: Annales. Économies, Sociétés, Civilisations**. 25e année, N. 3, 1970, p759.
[4] Merad Ali. L'émir Khaled (1875-1936) vu par Ibn Badis (1889-1940).. In: **Revue de l'Occident musulman et de laMéditerranée,** n°9, 1971. pp. 21-35, p21.

تحيط بذكرى الأمير، والصور الشعبية التي لا تصوره كفارس فقط بدون خوف وبلا عتاب، ولكن أيضًا كبطل أسيء فهمه في نفس الوقت المسؤولين عن السياسة الفرنسية في الجزائر وبعض النخب الجزائرية"[1].

خالد بن الهاشمي بن الحاج عبد القادر، كان خالد بن الهاشمي إذن ابن الأمير الهاشمي، وهو نفسه ابن عبد القادر وامرأة سوداء. ولد في دمشق في 20 فيفري 1875 وأمضى فيها طفولته. في عام 1892، غادر والده سوريا إلى الجزائر، غاضبًا، كما يقال، من مضايقات الحكومة العثمانية التي كانت تهدف إلى استخدام أحفاد الأمير عبد القادر[2].

يروي الشيخ بن باديس ولادة ونشأة الأمير خالد ببلاد الشام بقوله: "ولد الأمير الراحل في دمشق. والده الهاشمي. اهتم كثيراً بتربيته وتعليمه. الأمير خالد كان أحد أحفاد الأمير عبد القادر الذي كان له أكثر من غيره الموهبة والشخصية. عندما قرر أمير الهاشمي الاستقرار في الجزائر بعد ذلك بعد أن حصل على موافقة السلطات الفرنسية العليا، أحضر معه ومنهم الشاب الأمير خالد. وبالتالي يمكن أن تنمو هذه الأخيرة في البلد الذي كان ساحة معركة جده ووطنه النبيل أسلافه. ولهذا كان حبه للجزائر شديد الحماسة .أنه لماذا جعله مثالياً لخدمة الجزائر لدرجة التضحية. في الحقيقة لم يتوقف عن خدمة الجزائر بقلمه وكلماته، حتى أنفاسه الأخيرة"[3].

هو خالد بن الحاج عبد القادر ولد في دمشق في 14 محرم 1292 هـ الموافق لـ 20 فيفري 1875، بعدما غادرت أسرته الجزائر سنة 1848 واستقرارها بسوريا منذ 1854. تلقى علومه الأولى بدمشق على يد خيرة أساتذتها[4]؛ انتقلت أسرته لاحقا إلى الجزائر. التحق بثانوية لويس الكبير في باريس من سنة 1885 إلى سنة 1893 وتخرج منها بعمر 18 سنة. انتسب إلى المدرسة العسكرية بسان سير باقتراح من والده وتخرج منها سنة 1897. اختار الأمير خالد العمل في الجزائر حيث انتسب إلى فرقة القنّاصة الأفارقة في مدينة الجزائر. أرسلته فرنسا سنة 1905 إلى إقليم الشاوية بالمغرب الأقصى للعمل رفقة القوات الفرنسية[5]. أصدر رؤساؤه أحكامًا متناقضة بشأنه. خدم فترة في المغرب عام 1908 ضد رغبة ليوتي الرسمية[6].

رقي سنة 1908 إلى رتبة قبطان رغم توجس الفرنسيين منه، ولرفضه التجنس بالجنسية الفرنسية اعتبر ضابطا أهليا[7]. "بعد أن رفض بعناد التقدم بطلب للحصول على الجنسية الفرنسية (أي التخلي عن حالته الشخصية)، رأى خالد مسيرته العسكرية معطّلة ولم تتجاوز رتبة نقيب محلي، علاوة على ذلك تم إنشاؤها خصيصًا له[8]. كما شارك في الحرب العالمية الأولى في الجبهة الأوروبية ثمّ أعفي منها بسبب مرضه ليتقاعد من الجيش في 1919 ويتفرغ للنضال السياسي الوطني[9]. في عام 1926، أذنت له الحكومة الفرنسية بالعودة إلى دمشق حيث توفي عام 1936[10].

يعتقد المؤلفان "أن خالد كان الزعيم الأول، أي الزعيم الأول (قبل مصالي الحاج) لحزب قومي في طور التكوين. لقد كان اتحادًا روحيًا ، لكنه كان أخويته تأسست الجزائر في يناير 1922، ولم تنجح إلا في نخبة من الأعيان. كان خالد غير قادر أو غير راغب في تحويلها إلى منظمة شعبية حقيقية"[11].

ساهمت عوامل وظروف متعددة في صقل شخصية الأمير خالد من ذلك:

*انتسابه إلى أسرة الأمير عبد القادر المجاهدة والمعروفة بدورها في مقاومة المحتل الفرنسي.

*نشأته في بيئة عربية مسلمة بدمشق مع حفظه للقرآن الكريم منذ صغره.

---

[1] Ibid, p22.

[2] Ageron Charles-Robert. Enquête sur les origines du nationalisme algérien. L'émir Khaled, petit-fils d'Abd El-Kader, fut-il le premier nationaliste algérien ?. In: **Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée**, n°2, 1966. pp. 9-49, p10.

[3] Merad Ali, op.cit, p26.

[4] حكيم بن الشيخ، **الأمير خالد ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ما بين 1912-1936**، مطبوعات وزارة المجاهدين في الذكرى الخمسين للاستقلال، الجزائر، 2012، ص57.

[5] محمد الطيب العلوي، **مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة نوفمبر 1954**، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1985، ص85.

[6] Bouche Denise, op.cit, pp. 476-477,p477.

[7] محمد الطيب العلوي، **المرجع السابق**، ص85.

[8] Bouche Denise, op.cit, p476.

[9] محمد الطيب العلوي، **المرجع السابق**، ص85.

[10] Bouche Denise, opcit, p477.

[11] Bouche Denise,op.cit, p477.

*احتكاكه بالثقافة الأوروبية ومعرفته بقوانينها ومبادئها من خلال انتسابه إلى ثانوية لويس الكبير أو من خلال مدرسة سان سير العسكرية والجيش الفرنسي.
*تنقلات الأمير خالد المتعددة واحتكاكه بأطراف عديدة في المشرق والجزائر وفرنسا.
*أحداث الحرب العالمية الأولى وتأثيراتها المختلفة.

2-دور الأمير خالد في بعث العملية السياسية في الجزائر.

يتكون سكان الجزائر حسب اسنار الدبير (Isnard Hildebert) من عنصرين: السكان الأصليين والأوروبيون، متمايزون بشدة من حيث أصولهم العرقية، ولغاتهم، ودياناتهم، وعاداتهم ، حضاراتهم. "ومن هنا تأتي الصعوبة، إن لم تكن استحالة تطبيق سياسة عليهم. شائع. سارعت فرنسا إلى الاندماج في كتلة سياسية متجانسة، الفرنسيين والأوروبيين الأجانب، والتي جمعت بين العديد من الصلات. منذ عام 1848، بدأ الفرنسيون، الذين تم تنصيبهم في المستعمرة، في التمتع بكامل حقوقهم السياسية. أنشأ قانون 26 يونيو 1889 نظام التجنيس التلقائي الذي ضم الأجانب إلى المواطنين دون إجراءات رسمية. منذ ذلك الحين، حدث الاستيعاب بسرعة. اليوم، ها هو "مُدرَك: كل شيء تقريبًا يتمتع الأوروبيون بالحقوق التي تمنحها الجنسية الفرنسية. لم يكن للسياسة تجاه الأهالي هذه الفعالية الفورية. كان هناك حلان ممكنان: للمساعدة في تطوير المجتمع الأصلي خارج الغلاف الجوي الأوروبي، في إطار رسمته ظروف جغرافية بشرية وتاريخية معينة أو لإخراج السكان الأصليين من تاريخهم، لاستيعاب الأوروبيين والعمل قدر الإمكان لخلق روح مشتركة. الفصل أو الاندماج: بين هاتين الصيغتين لم تستطع السياسة الفرنسية أو تعرف كيف تختار بحزم؛ عندما تخلت عن أحدهما، لم تجرؤ على دفع الآخر إلى عواقبه النهائية"[1].

ضمن هذه الظروف والمعطيات الاستثنائية؛ ظهرت في الجزائر منذ أوائل القرن 20 عناصر شابة طالبت ببعض الإصلاحات وكان من ضمنها الأمير خالد الجزائريين ونظرا لوجود فراغ في القيادة السياسية للوطنيين الجزائريين بعد الحرب العالمية الأولى[2] قرّر هذا الأخير الدخول في معترك العمل السياسي الوطني؛ في الوقت الذي كانت فيه الجماهير الجزائرية بحاجة لمن يأخذ بيدها نحو برّ الأمان ويرفع عنها الغبن الاستعماري ومظالمه الجمّة، والذي زادته أحداث الحرب العالمية الأولى سوءا مما مكّن هذا الأخير من استغلال هذه الظروف مجتمعة لبعث النضال والنشاط السياسي الوطني في الجزائر.

يرى شارل روبير آجيرون بأنّ النقيب خالد قد أصبح "خصما سياسيا منذ عام 1913 تدخل في انتخابات الوفود المالية مؤيدا ضد المرشح الرسمي بن صيام أحد أصدقائه الحلوي زروق الذي تعرض للضرب. حكمت إدارة الجزائر أنه "رسم الخطوط العريضة للحركة التحريض "وقرّر أنه بعد أن شجع على التصويت السيئ يجب أن يفقد معاشه الجزائري. رد خالد علانية بأنه "لم يختر خدمة فرنسا مقابل المال". تم قطع الجسور مع الإدارة الجزائرية. حثه أصدقاؤه على لعب دور سياسي وقرروا ذلك دون صعوبة: "كنت أود أن أكون جنديًا فقط، لكن لا يمكنني فعل ذلك من الآن فصاعدًا، دون أن أفشل بشدة فرنسا وأتباع ديني"[3].

3-انتخابات 1919 وانقسام جماعة النخبة

من أهم نتائج إصلاحات 1919 هو انقسام جماعة النخبة بتأثير الخلاف القائم حول "فكرة الإدماج" حيث أن الرأي الأول كان ينادي بضم الجزائر إلى فرنسا، أما الرأي الثاني فكانت وجهة نضره مع فكرة الانفصال، لكن هذا لا يعني عمليا فصل الجزائر عن فرنسا بل مجرّد تحقيق وإقامة المساواة معها مع ضرورة الحفاظ والتمسك بالأحوال الشخصية الجزائرية. فأصحاب الرأي الأول كانوا يعتقدون بان التعجيل بالإدماج من شانه أن يكون وسيلة ناجعة لتحقيق المساواة مع فرنسا.

هكذا اتحد شباب الجزائر الجزائريون حتى ذلك الحين؛ "هل يجب أن نقبل التجنيس الذي سهله قانون 1919 كما أيده بعض الشباب الجزائري مثل الدكتور بن تهامي والمحامي بوضربة والبروفيسور صوالح، وجميعهم مجنّسون، وربما في يوم من الأيام نحقق المساواة مع الأوروبيين؟ بغزو المجالس الجزائرية؟. أم كان من الضروري، على العكس من ذلك، رفض أي تجنيس ينطوي على التخلي عن الأحوال الشخصية للمسلم للمطالبة. بالحقوق السياسية فقط؟ الحاج موسى، الذي انتخب منذ عام 1884 مستشارًا لبلدية الجزائر، مخلصًا لعقيدته الإسلامية ومراعي مشاعر الجماهير، كان متفقًا على هذه الخطة مع العديد من الشباب الجزائريين مثل المهندس

---

[1]Isnard Hildebert, op.cit, pp463-464.

[2] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930**، الجزء 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 360.

[3] Ageron Charles-Robert, op.cit, p13.

قايد حمود، مثل مدير الشباب. صحيفة إقدام حاج عامر حمّو الجزائرية وخاصة الأمير خالد. أخيرًا، تم تشكيل قائمتين متعارضتين كما لو كان الشباب الجزائري يأمل في تسوية المسألة بتصويت الناخبين المسلمين في الجزائر العاصمة"[1].

وقع هذا الانقسام في قيادة جماعة النخبة سنة 1919 خلال الانتخابات البلدية في العاصمة؛ حيث كان الزعيمان المتنافسان هما الدكتور ابن التهامي على رأس الاندماجيين والأمير خالد على رأس المنادين بالمساواة في إطار الحفاظ على الأحوال الشخصية للجزائريين.

لم تكرس هذه الانتخابات الانقسام بين جماعة النخبة بقدر ما ساهمت في بروز زعيم سياسي جديد وشخصية سيكون لها تأثيرا بارزا في السنوات من خلال الدفع بالنضال السياسي الوطني الجزائري من خلال نشاطه الفاعل في الجزائر وفرنسا حيث استفاد إلى حدّ ما من سمعته ومكانة أسرته في الفوز بهذه الانتخابات.

لقد فرح المعمرون في البداية بفوز الأمير خالد لكونهم لم يرضوا عن سياسة النخبة نحو الاندماج التي من الممكن أن تقود إلى وجود أغلبية جزائرية مسلمة في المجالس المحلية[2].

وتجدر الإشارة إلى أنه في ذلك التاريخ، "بذلت جهود في الجزائر العاصمة للتشكيك في جميع الجزائريين الشباب تلك الحفنة من المثقفين الطموحين والمثقفين الذين كان يُخشى أن يكونوا المستفيدين من إصلاحات عام 1919"[3].

في نوفمبر 1919، "تقاعد خالد بن الهاشمي وترشح للانتخابات البلدية في الجزائر العاصمة نائب رئيس الحاج موسى مصطفى. وانتخب الأخير بأغلبية 940 صوتا، وخالد بـ 925 صوتا، فيما هُزمت القائمة المعارضة من الشباب الجزائريين المؤيدين للتجنيس. الدكتور بن تهامي، الذي كان يعتقد منذ عام 1912 أنه زعيم الشباب الجزائري، حزن على هزيمته - فقد حصل على 332 صوتًا فقط. واتهم خالد بـ "التآمر على السلطة الفرنسية واستخدام نفوذ المرابطين". اصطحبه رئيس أركان المحافظ لوفيبور (Lefébure) إلى باريس حيث جاء لتقديم شكاواه ضد خالد. وواصل حملته ضده في جريدته المستقبل الجزائري (l'Avenir algérien)، وحصل على نقض الانتخابات البلدية من قبل مجلس المحافظة بحجة أنهم ناشدوا "التعصب الإسلامي"[4].

من الوسائل التي اعتمد عليها الأمير خالد في نضاله السياسي:

*الصحافة من خلال تأسيس صحيفة الإقدام التي نالت شهرة كبيرة.

*إلقاء الخطب خاصة خلال الحملات الانتخابية. المجالس المنتخبة حيث وظّف مواقعها لإيصال صوته ومطالبه نيابة عن الجزائريين.

*اتصاله بمختلف الشخصيات الفرنسية حيث كتب لها عديد الرسائل والعرائض عن أوضاع الجزائريين المتدهورة[5].

4-برنامج الأمير خالد ونضاله في الجزائر

اظهر الأمير خالد توجها سياسيا متميّزا عن من سبقه ورغم محاولات البعض إلصاق الصفات الدينية والاشتراكية والانفصالية بهذا الحزب الجديد مثلما يطرحه المؤرخ الانجليزي "وورثام":"بأنّ الحزب الإصلاحي كان مستوحى من القرآن ومبنيا على الاشتراكية(..) وأنّ هدف هذا الحزب هو نهاية الحكم الفرنسي في الجزائر". لكن المتمعّن في خلفيات ومواقف الأمير خالد وحزبه يرى بأنه لم يكن اشتراكيا ولا دينيا ولا إسلاميا ولا انفصاليا.

فلقد كانت حسب أبو القاسم سعد الله: "إحدى الحالات التي يختلط فيها الدين والوطنية فلم يكن يتحدث باسم الدين بل باسم الديمقراطية وحرية المعتقد والتفكير". ففي حوار للأمير خالد مع جريدة لانازيون الايطالية مؤرخ في 10جوان 1922 أشار إلى نفيه فكرة الدينية على حركته حيث قال:"إن حركتنا ليست دينية ولكن بالقوّة سياسية لأنّ القضية هي قضية استقلال جميع الأوطان الإسلامية". لكن هذا لا يمنع من القول بان الأمير خالد قد ركّز على قضية الدين في مطالبه الوطنية[6].

---

[1] Ageron Charles-Robert, op.cit, pp20-21.

[2] أبو القاسم سعد الله، **المرجع السابق**، ص 340.

[3] Ageron Charles-Robert, op.cit, pp19-20.

[4] Ageron Charles-Robert, op.cit, p21.

[5] محمد الطيب العلوي، **المرجع السابق**، ص85.

[6] أبو القاسم سعد الله، **المرجع السابق**، ص ص 361-362.

تركّز برنامج حركة الأمير خالد في النقاط التالية:
1-إدماج الجزائريين دون شرط.
2-إلغاء السلطات التأديبية لحكام البلديات المختلطة.
3-المساواة أمام القانون.
4-تحقيق التمثيل النيابي للجزائريين.
5-مساواة الجزائريين مع الفرنسيين في الألقاب والترقيات والوظائف.

فيما يتعلق بصيغة الاستيعاب، "عارض خالد صيغة الجمع. (نحن لا نتحدث إذن عن الاستيعاب، بل عن الاتحاد)، وهو ردد كلمة باروكان (Barrucand) التي قالت "العمل من أجل الجمع بين العرقين واحترام كل منهما". كما أعطى هو نفسه شعارًا لمحبٍ آخر، فرنسي من الجزائر، يا ابني العزيز: "فرنسا والإسلام". كما زعم أن التعليم الابتدائي "باللغتين الفرنسية والعربية" أصبح إلزامياً في الجزائر وأن جامعة عربية أُنشئت إلى جانب الجامعة الفرنسية"[1].

مع نهاية الحرب العالمية الأولى شكّل الأمير خالد وفدا يتكون من النواب الجزائريين في المجالس البلدية والعمالية حيث توجه الجزائري إلى باريس (فرساي) لعرض القضية الجزائرية على مؤتمر الصلح، بل قام بتحرير عريضة قدّمت إلى الرئيس الأمريكي آنذاك توماس ولسن؛ تضمنت شرحا لأحوال الجزائر مع مطالبة بضرورة إدخال الجزائر تحت رعاية عصبة الأمم. لكن خابت آمالهم مثلما خابت آمال العرب جميعا في مؤتمر الصلح.

مع انسداد فكرة تسويق القضية الجزائرية دوليا كان لزاما على الأمير خالد ورفاقه توجيه كلامهم ومطالبهم للطرف الأساسي في المشكلة الجزائرية وهم الفرنسيين أنفسهم. لذا جمع هذا الأخير هيئة سياسية أطلق عليها تسمية "وحدة النواب المسلمين" مع تأسيسه لصحيفة شديدة اللهجة أسماها "الإقدام"، حيث كانت تصدر باللّغتين العربية والفرنسية. كشف من خلالها مظالم الاستعمار خاصة ما تعلق بقانون الأهالي والذي يعد من أكثر القوانين عنصرية في تاريخ الاستعمار. كما ركّز الأمير خالد نشاطه السياسي بالدعاية وسط الجزائريين والفرنسيين حيث سعى لرفع الوعي الجماهيري للجزائريين وإحياء شعورهم الوطني للنضال في سبيل حقوقهم المفقودة، كما حرص على إبراز عدالة مطالب الجزائريين لدى الفرنسيين.

في الواقع لم تقتصر نشاطات الأمير خالد على العاصمة لوحدها؛ حيث يذكر محمود عبدون وهو مناضل في الحركة الوطنية من مواليد 1913 ينحدر من مدينة دلّس؛ بأن سكان هذه البلدة قد أقامت ما يصفه بالحفلة الكبيرة للأمير خالد سنة 1922 أو 1923 وكانت المناسبة هو قدومه لجمع الأموال لبناء مسجد بباريس[2].

خلال زيارة الرئيس الفرنسي "ميليران" إلى الجزائر في ربيع 1922 تكلّم الأمير خالد أمامه باسم جميع الجزائريين بقوله " إن الجزائريين يطالبون في الحال بالحريات المدنية من فرنسا، والترخيص لهم بتقلد جميع المراتب في العائلة الفرنسية بدون شرط (..) إن الجزائريين قد حاربوا دفاعا عن الحق والحرية بجانب فرنسا زمن الأخطار (..) إن الجزائريين يجب أن يحصلوا على تمثيل نيابي في المجلس الوطني الفرنسي لكي يعبّروا عن أنفسهم إلى أم الوطن (..) إن أيدي وقلوب الجزائريين متّجهة نحو فرنسا وأنّه يأمل أن لا تدفع إلى اتّجاه آخر (..) إنكم قد تجدون في الجزائر شعبا متخلّفان لكنّكم لن تجدوا شخصا واحدا ضدّ الفرنسيين (..) لتحيا فرنسا! لتحيا الجزائر"[3].

يبدو أن خالد يسعى وراء هدف يصعب تحقيقه: "إعطاء الجزائريين (لكن أيهم؟ الكل؟ أم مجرد جزء بينهم؟) في الإطار الفرنسي، تمثيل برلماني متساوٍ مع الأوروبيين جزائريون إلغاء قانون الأهالي، والمساواة قبل الخدمة العسكرية، والوصول إلى جميع الرتب المدنية والعسكرية، بالإضافة إلى عدد معين من الحريات التي حرم منها المسلمون الجزائريون، ناهيك عن تطبيق القانون فصل الكنيسة عن الدولة، تطبيق القوانين الاجتماعية على المسلمين وحرية السفر إلى فرنسا. معا، لقد أراد أن يبقي الجزائريين على أحوالهم الشخصية، لأنه لا يستطيع أن يتجاهل قيمة الإسلام في حياة مواطنيه. استقلال الجزائر لا شك فيه. وجميع النصوص التي استشهد بها أجيرون رسمية. يجب أن تؤدي هذه المتطلبات إلى الفشل؛ لأنها تعني الكثير أو القليل جدًا: الكثير بالنسبة للمستعمرين

---

[1] Ageron Charles-Robert, op.cit, p26.

[2] محمود عبدون، **شهادة مناضل من الحركة الوطنية**، منشورات مطبعة دحلب، الجزائر، 2013، ص ص 12-13.

[3] أبو القاسم سعد الله، **المرجع السابق**، ص 363.

وأصدقائهم؛ الكثير بالنسبة لبعض (العمائم القديمة)؛ لكنها قليلة بالنسبة لأكثر الشباب الجزائريين حماسة وبعض رجال اليسار"[1].

في الواقع انزعج الفرنسيون من مطالب الأمير خالد رغم اعتدالها مع دبلوماسية الخطاب وتدرجه في اختيار الألفاظ المنمّقة أحيانا؛ حتّى أن الرئيس الفرنسي "ميليران" قد أجابه بقوله "أنّ إصلاحات 1919 كانت عظيمة وأنّ السير بسرعة كبيرة قد يؤدي إلى عواقب وخيمة". انزعاج الفرنسيين من نشاط الأمير خالد ومطالبه السياسية ترجم في الواقع من خلال صدور قرار بنفيه من الجزائر في 1923؛ بتهمة القيام بأعمال معادية لفرنسا[2].

5-نضال الأمير خالد في فرنسا:

واصل الأمير خالد نشاطه النضالي الوطني في فرنسا مستفيدا من مساحة الحريات الموجودة هناك مقارنة بالجزائر ومستفيدا من وجود قاعدة من العمال المهاجرين المغاربة في فرنسا فوجد الظروف مواتية لتصعيد عمله السياسي وتوسيع رقعة نشاطه ومطالبه؛ من خلال ما كان يقوم به من لقاءات واتصالات مع المهاجرين والعمال المغاربة والجزائريين بالخصوص بما في ذلك اليسار الفرنسي والمنفيين السياسيين من المستعمرات[3].

مع الانتصار الانتخابي لتيار اليسار في ماي 1924، استقالة رئيس الجمهورية ميلران (Millerand) وتشكيل حكومة هيريو (Herriot)، "استعاد الأمير خالد الأمل فجأة. عُرف الرئيس هيريو (Herriot) بمشاعره الإيجابية للغاية تجاه الشباب الجزائري 102 وترأس الرابطة الفرنسية لتمثيل الجزائريين الأصليين في البرلمان. في نفس يوم تشكيل الوزارة في 14 جوان، أرسل له الأمير خالد برقية ودية: "لنرى في وصولك إلى السلطة فألًا سعيدًا لعهد جديد لدخول أبناء الجزائر في طريق التحرر ، وقمع القوانين والتدابير الاستثنائية ، وتمثيلهم في البرلمان ، والعفو السياسي العام ، وحرية التعليم ، والمساواة في الأعباء العسكرية. آمل أن يكون هذا من روحك الليبرالية". تتحمل الإمضاء الأمير خالد في المنفى"[4].

استغل الأمير خالد وصول اليسار للحكم في فرنسا برئاسة "هيريو" سنة 1924 للمبادرة إلى إرسال خطاب إليه من منفاه في جوان 1924؛ كما أرفقها برسالة ثانية بعد شهر عن الأولى حيث نشر مضمونها في جريدة لومانيتي المؤرخة في 3 جويلية 1924[5] حيث تضمنت برنامج مطالب هذا الأخير الرئيسية وفق ما يلي:

1-تمثيل الجزائريين في البرلمان الفرنسي بنسب معادلة لعدد النواب الأوروبيين والجزائريين.

2-إلغاء جميع القوانين والإجراءات الاستثنائية والمحاكم الزجرية والاستثنائية والمراقبة الإدارية مع عودة كاملة إلى القانون العام.

3-المساواة في المسؤوليات والحقوق مع الفرنسيين فيما يتعلّق بالخدمة العسكرية.

4-تقلّد الجزائريين جميع المناصب المدنية والعسكرية دون تمييز ما عدا ما تخوّله الجدارة والاستحقاق.

5-تطبيق قانون إجبارية التعليم وحرية التعليم للجزائريين.

6-حرية الصحافة والاجتماع.

7-تطبيق فصل الدين عن الدولة (يقصد من ذلك فصل الشؤون الإسلامية عن تدخل الدولة الفرنسية)

8-إعلان العفو العام.

9-تطبيق القوانين الاجتماعية والعمالية الفرنسية على الجزائريين (يقصد من ذلك المسلمين).

10-الحرية التّامة للعمال الجزائريين في الدخول إلى فرنسا[6].

إن المتأمل لهذه المطالب والمبادئ الأساسية يلاحظ تركيزها على الإصلاح القائم على خلق أجواء تضمن تعايش جزائري فرنسي على قدم المساواة دون تمييز في الحقوق والواجبات كبديل عن الاندماج الكلّي.

أسس الأمير خالد هيئة إغاثة المغاربة كما كان له الفضل في إرساء قواعد العمل المشترك على مستوى شمال إفريقيا، ولعل مؤتمر 7 ديسمبر 1924؛ حيث كان رد المعمرين عليه ساخرا وأطلقوا عليه مؤتمر "بني سيدي".

---

[1] Nouschi André. C.-R. Ageron, « L'émir Khaled, petit-fils d'Abd el Kader fut-il le premier nationaliste algérien ? ». In: Annales. Économies, Sociétés, Civilisations. 25e année, N. 3, 1970, p759, p759.

[2] أبو القاسم سعد الله، **المرجع السابق** ، ص 364.

[3] نفسه.

[4] Ageron Charles-Robert, op.cit, pp41-42.

[5] أبو القاسم سعد الله، **المرجع السابق**، ص ص 365-366.

[6] محمد الطيب العلوي، **المرجع السابق**، ص90. أبو القاسم سعد الله، **المرجع السابق**، ص 366.

أما الوفود المشاركة بجنود "الجيش الأحمر" وكذا "انكشارية الحزب الشيوعي الفرنسي"[1]. ويعد هذا اللقاء أول مؤتمر موسع ضمّ ممثلين عن 15 ألف عامل بهدف بحث مختلف المصالح الاقتصادية والنقابية للعمال. إن هذا النشاط التوعوي والسياسي الوطني سيثمر لاحقا في تأسيس "نجم شمال إفريقيا". فهذه الأخيرة واعترافا منها بجهود الأمير خالد لتهيئة الأجواء لتأسيسها قد أقرت تنصيب الأمير خالد رئيسا شرفيا لها؛ تكريما لكفاحه ونضاله؛ مع تسمية الإقدام الباريسي والإقدام الشمال الإفريقي بإقدام الأمير خالد مع تقليدا لشعار هذا الأخير في سنتها الأولى.

لقد تعرض الأمير خالد نتيجة مواقفه الوطنية والجريئة إلى محاولات عديدة لتشويه سمعته من طرف المعمرين بالخصوص ومن سار في نهجهم من الأعيان المحافظين الذي كان يسميهم بجماعة "بني وي وي" أو "سمك القرش الأحمر"[2]؛ حيث اتّهموه بالحماقة ووصفوه بالمهدي المنتظر والمرابط الذي يريد أن يقود أتباعه إلى زاوية لينين حسب وصفهم كما اتّهموه كونه كان عميلا للشيوعيين[3].

يصف الشيخ بن باديس سيرة الأمير خالد بقوله: ""الأمير - رحمه الله ورحمه - كان مسلم مخلص ومؤمن بعمق. كانت حياته الخاصة لا تشوبها شائبة؛ كان طيبًا وكريمًا وكان سيدًا عظيمًا وفخورًا. امتيازها كان كاملاً، وكان عنيدًا على المبادئ؛ رفض الانصياع لمقتضيات اللعبة السياسية. كان يعرف كيف يتعامل مع الحشود. لكنه لم يعرف لكنه لم يعرف لم تعمل بشكل جيد مع الأفراد .كل هذا كان سبب له خسارة .تم استغلال عناده وعدم مرونته من قبل المستعمرون الذين نجحوا في أن يشكلوا ضده مجموعة من الرجال من بينه أتباع الديانة الخاصة. كان بليغا. استخدم الفعل جذابة، وتحدث مع أناقة باللغتين العربية والفرنسية .لقد كتب بسهولة كبيرة بكلتا اللغتين .كان لديه قوة كبيرة في الإقناع وكان يعرف كسب تعاطف الجميع"[4].

عانى الأمير خالد من الجزائريين المجنسين الذين اعتزوا بانتسابهم إلى الفرنسيين واعتباره مفخرة وشرف لهم وكذا من كيد المعمرين والنواب الحاقدين الذين كانوا يتحينون المناسبات للنيل منه ومن أفكاره وهويته؛ والتي كان يرد عليها خاصة في جريدة الإقدام[5].

وبحسب مراسل الزمان (Le Temps) الجزائرية فإن "هذا المحرّض المتقاعد من قبل الحكومة بذل جهدا للهروب من مراقبة القنصل الفرنسي. بعد محاولته الفرار بجواز سفر مزور، تم إلقاء القبض عليه وتقديمه إلى المحكمة القنصلية في الإسكندرية التي حكمت عليه بالسجن 5 أشهر في أغسطس 1925. استأنف الأمير أمام محكمة إيكس (Aix) المختصة بتلقي الاستئناف ضد الأحكام الصادرة عن السلطات القنصلية[6]..

تعرض الأمير خالد إلى العديد من المضايقات من طرف الفرنسيين رغم استقامته من حيث احترامه للقوانين بحكم معرفته الجيدة بالنظام السياسي في فرنسا وتشريعاتها من خلال انتسابه للمؤسسة العسكرية الفرنسية قبل تقاعده؛ حيث حرمه الفرنسيين من مرتب تقاعده حسب شهادته خلال محاكمته في الإسكندرية بمصر من طرف المحكمة القنصلية الفرنسية في 25 أوت 1925 بسبب اتهامه بالهروب من منفاه[7]. وبحسب مراسل صحيفة الزمان (Le Temps) الجزائرية فإن "هذا المحرّض المتقاعد (يقصد من ذلك الأمير خالد) من قبل الحكومة بذل جهدا للهروب من مراقبة القنصل الفرنسي. بعد محاولته الفرار بجواز سفر مزور، تم إلقاء القبض عليه وتقديمه إلى المحكمة القنصلية في الإسكندرية التي حكمت عليه بالسجن 5 أشهر في أوت 1925[8]. لكن من خلال استئناف الحكم في محكمة اكس بروفانس أطلق سراحه لكن لم يسمح له بالدخول إلى الجزائر وقضى بقية حياته في المنفى بدمشق (سوريا) في التاسع من جانفي 1936[9].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **المرجع السابق**، ص ص 341-342.

[2] حكيم بن الشيخ، **المرجع السابق**، ص72.

[3] أبو القاسم سعد الله، **المرجع السابق**، ص 341.

[4]Merad Ali, op.cit, pp34-35.

[5] محمد الطيب العلوي، **المرجع السابق**، ص ص 86-87.

[6] Ageron Charles-Robert, op.cit, p45.

[7] أبو القاسم سعد الله، **المرجع السابق**، ص 368.

[8] Ageron Charles-Robert, op.cit, p45.

[9] أبو القاسم سعد الله، **المرجع السابق**، ص 368.

في جانفي 1936، أعلنت الصحافة الإسلامية في الجزائر: "الجزائر في حداد. الأمير خالد مات". كتبت جريدة الدفاع: "الجزائر المسلمة تنعي فيه الفارس المجاهد الذي لا يزال الاسم العظيم مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بهذه الحركة الجزائرية الشابة المتحمسة بأنفاسه القوية وتتغذى بكل حماسة إيمانه"[1].

استنتاج:

في الواقع كسبت الجزائر من خلال الأمير خالد شخصية متميزة ومثابرة نجحت في أن تؤثر فيما حولها وتدرج في نشاطه ونضاله من زعيم جزائري إلى زعيم مغاربي بعد نفيه لفرنسا إلى زعيم إسلامي على منوال الزعماء الذين عرفهم العالم الإسلامي أواخر القرن 19 ومطلع القرن 20؛ نجح في بعث العملية السياسية والنضال الوطني في الجزائر وبفرنسا فجني النجم ثمار جهوده التي اعترف له بها.

[1] Ageron Charles-Robert, op.cit, p45.